على وضع من الأوضاع لا تضبطه حركة الشعر المسموع بغير حاجة إلى الغناء .

وأسباب هذا الفن الكامل الذى استوفى أوزانه فى بحوره وقوافيه تظهر من دراسة تاريخ النظم فى اللغة العربية ونعرض لها ببعض التفصيل فى مناسبة أخرى ، ولكن السبب الشامل الذى يحيط بجميع تلك الأسباب أن التركيب الموسيقى أصل من أصول هذه اللغة لا ينفصل عن تقسيم مخارجها ولا عن تقسيم أبواب الكلمات فيها ولا عن دلالة الحركات على معانيها ومبانيها بالإعراب أو بالاشتقاق .

وهذا السبب الشامل هو الذى يسّر النظم المطبوع لأصحاب السليقة الشعرية من الناطقين باللغة العربية منذ أقدم عصور الجاهلية إلى هذه الأيام ، فإن الشاعر المطبوع ينظم الأشعار فى بحورها المتعددة بغير حاجة إلى علم يدرسه ويستهدى به غير سليقته الفنية ، ولم تكن بالشاعر الجاهلى حاجة إلى دراسة العروض ولا إلى تعرف أسماء البحور وتقسيم ضروب التفاعيل ، وليس لناظم الزجل فى أيامنا هذه حاجة إلى ذلك وهو ينظم فى كل بحر من بحور العروض وكل مجزوء من مجزواءاتها ، وإنه ليجهل أسماءها وقد يجهل قراءاتها فى الورق كما يجهل معانيها إذا هى قرئت عليه ، وكثيرا ما نظم الأزجال فى بحور العروض المتعددة أناس من الأميين جهلوا كتابة الحروف كما جهلها قبل مئات السنين شعراء الجاهلية المشهورون .

ولولا جريان اللغة فى ألفاظها وتراكيبها على السليقة الموسيقية لما تيسر ذلك للشاعر الجاهلى بالأمس ولا للزجال الأمى فى هذه الأيام .